□ عُلوُّ الهمَّةِ في حفْظِ الوقْتِ □

اعلم أنّ « الناس في هذا العالم سفر ، وأوّل منازلهم المهد ، وآخرها اللَّحد ، والوطن هو الجنة أو النار ، والعمر مسافة السَّفر ، فسنوه مراحله ، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رؤوس أمواله ، وشهواته وأغراضه قطّاع طريقه ، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم ، وخسرانُه البعد عن الله مع الأنكال والأغلال ، والعذاب الأليم في دركات الجحيم ، فالغافل في نفَس مِن أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقرّبه إلى الله زلفى،متعرضٌ في يوم التغابن لغبينةٍ وحسرة ما لها منتهى ، ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل ؛ شمَّر الموفَّقون عن ساق الجدّ، وودّعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتنموا بقايا العمر »[(١)].

يقول ابن القيم : « العبدُ مِن حين استقرت قدمُه في هذا الدار فهو مسافر فيها إلى ربّه ، ومدة سفره هي عمره الذي كُتب له ، فالعمر هو مدةُ سفرِ الإنسان في هذه الدار إلى ربّه ، ثم قد جُعلتِ الأيام والليالي مراحلَ لسفره ، فكلُّ يوم وليلة مرحلة من المراحل ، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر ، فالكيِّسُ الفَطِنُ هو الذي يجعل كلَّ مرحلة نُصبَ عينيه ، فيهتمّ بقطْعها سالمًا غانمًا ، فإذا قطعها جعل الأخرى نُصبَ عينيْه ، ولا يطول عليه الأمَد فيقسو قلبُه ويمتد أملُه ، ويحصر بالتسويف والوعد والتأخير والمطْل ، بل يعدّ عمرَه تلك المرحلة الواحدة فيجتهد في قطعها بخير ما بحضرته ؛ فإنه إذا تيقن قِصَرها وسرعة انقضائها هان عليه العمل ،

---

(١) الإحياء ١/٣٩١ .

فطوّعت له نفسه الانقياد إلى التزوُّد ، فإذا استقبل المرحلة الأخرى من عمره استقبلها كذلك ، فلا يزال هذا دأبه حتى يطوي مراحل عمره كلها فيحمد سعيَه ، ويبتهج بما أعدَّه ليوم فاقته وحاجته ، فإذا طلع صبح الآخرة وانقشع ظلام الدنيا فحينئذٍ يحْمَد سرَاهُ ، وينجابُ عنه كَرَاه ، فما أحسنَ ما يستقبلُ يومَه وقد لاح صباحُه واستبان فلاحُه ! »[١].

قال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر** ﴾ .

قال ابن عباس : العصر هو الزمن .

قال الرازي : « أقسمَ الله بالعصر لما فيه من الأعاجيب ؛ ولأن العمر لا يُقوَّم بشيء نفاسةً وغلاءً » .

والزمان من جملة أصول النعم ؛ عن عبد الله بن مسعود قال : سألت رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »[٣] .

« فالزمن نعمة جُلَّى ومنحة كبرى ، لا يَدريها ويستفيد منها كلَّ الفائدة إلا الموفقون الأفذاذ ، كما أشار إلى ذلك لفظُ الحديث الشريف ، فقال : « مغبون فيهما كثير من الناس » ، فأفاد أن المستفيدين من ذلك قِلّةٌ ، وأن الكثير مُفرطٌ مغبون »[٤].

قالت حفصة بنت سيرين : « يا معشر الشباب ، اعملوا فإني رأيت العمل في الشباب » .

---

(١) طريق الهجرتين ١٨٥ - ١٨٦ .
(٢) رواه البخاري ومسلم ، والترمذي والنسائي .
(٣) رواه البخاري والترمذي ، وابن ماجه .
(٤) « قيمة الزمن عند العلماء » لعبد الفتاح أبي غدة ص٢٣ .

قال قتادة : اعلموا أن طول العمر حجةٌ ، فنعوذ بالله أن نُعيَّر بطول العمر ﴿ **أو لمْ نعمرْكم ما يتذكَّرُ فيهِ مَنْ تذكَّر وجاءكم النَّذير فذوقوا فما للظالمينَ مِن نصير** ﴾ [فاطر : ٣٧].

أخي :

ما مضى فات والمؤمَّل غيبٌ ولك الساعةُ التي أنتَ فيهَا

قال يحيى بن معاذ الرازي : « الفوت – وهو ضياع الوقت – أشدُّ من الموت ؛ لأن الفوت انقطاعٌ عن الحقِّ ، والموتَ انقطاعٌ عن الخلْقِ » . فالموت يقطعك عن الدنيا وأهلها ، أما الفوت فإنه يقطعك عن الله وعن الدار الآخرة .

يا هذا ، الأيام ثلاثة : أمسٌ قد مضى بما فيه ، وغدًا لعلك لا تدركه ، وإنما هو يومك هذا فاجتهدْ فيه . فلله درُّ مَن تنبّه لنفسه ، وتزوّد لرمسه ، واستدرك ما مضى من أمسه قبل طول حبسه .

قال رجل لداود الطائي : أوصني . فدمعتْ عيناه ، وقال : يا أخي ، إنما الليل والنهار مراحل ، ينزلها الناس مرحلةً بعد مرحلة ، حتى ينتهي ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعتَ أن تقدم كل يومٍ زادًا لما بيْن يديْك فافعل ؛ فإنَّ انقطاع السفر عن قريب ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزوّد لنفسك ، واقضِ ما أنت قاضٍ ، فكأنك بالأمر قد بغتَكَ ، إني لأقول لك هذا وما أعلم أحدًا أشدَّ تقصيرًا مني . ثم قام وتركه .

لمّا علم الصالحون قصر العمر ، وحثّهم حادي ﴿ **وسارِعُوا** ﴾ طَوَوْا مراحل الليل مع النهار انتهابًا للأوْقات .

قال ابن القيم : « إذا أراد الله بالعبد خيرًا : أعانه بالوقت ، وجعل وقته مساعدًا له ، وإذا أراد به شرًّا جعل وقته عليه ، وناكده وقتَه ، فكلما أراد التأهُّب للمسير لم يساعده الوقت ، والأول : كلما همتّ نفسُه بالقعود

أقامه الوقت وساعده »[1] .

وإن كان قوم يقولون : إن الفقير ابن وقته . فنحن نقول : عالي الهمة ابن وقته .

يقول ابن القيم : « يريدون أن همته لا تتعدى وظيفة عمارته بما هو أولى الأشياء به وأنفعها له ، فهو قائم بما هو مطالبٌ به في الحين والساعة الراهنة ، فهو لا يهتم بماضي وقته وآتيه ، بل يهتم بوقته الذي هو فيه ؛ فإنَّ الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضيع الوقت الحاضر ، وكلما حضر وقتٌ اشتغل عنه بالطرفيْن ، فتصير أوقاته كلها فواتًا .

قال الشافعي رضي الله عنه : صحبتُ الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتيْن ، سمعتُهم يقولون : الوقت سيفٌ ، فإنْ قطعتَه ، وإلا قطعك ، ونفسك إن لم تشغلْها بالحق ، وإلَّا شغلتك بالباطل .

قلت : يا لهما من كلمتيْن ، ما أنفعهما وأجمعهما ، وأدلهما على علوّ همة قائلهما ويقظته ! »[2] .

الغيرة القاتلة على الوقت عند العابد :

قال الإمام ابن القيم وهو يتحدث عن درجات الغيرة شارحًا لكلام شيخ الإسلام الهروي ، قال : « الدرجة الثانية : غيرة المريد ، وهي غيرةٌ على وقتٍ فات ، وهي غيرة قاتلة ؛ فإن الوقت وَحِيُّ التقضي ، أبيُّ الجانب ، بطيُّ الرجوع .

و « المريـدون » هم أرباب الأحوال ، و « العباد » أرباب الأوراد والعبادات ، وكلُّ مريد عابد ، وكلّ عابد مريد ، لكن القوم خصوا أهلَ المحبة وأذواق حقائق الإيمان باسم « المريد » ، وخصّوا أصحاب العمل المجرد باسم « العابد » ، وكل مريد لا يكون عابدًا فزنديق ، وكل عابد لا يكون

(١) مدارج السالكين ٣/١٢٩ - ١٣٠ .
(٢) مدارج السالكين ٣/١٢٨ - ١٢٩ .

مريدًا فمُراءٍ . والوقت عند العابد هو وقت العبادة والأوراد ، وعند المريد هو وقت الإقبال على الله ، والجمعية عليه والعكوف عليه بالقلب كلِّه .

و « الوقت » أعز شيء يغار عليه أن ينقضي بدون ذلك ، فإذا فاته الوقت لا يمكنه استدراكه ألبتة ؛ لأنَّ الوقت الثاني قد استحق واجبه الخاصّ ، فإذا فاته وقت فلا سبيل له إلى تدارُكه .

وقوله : « وهي غيرة قاتلة » يعني مضرة ضررًا شديدًا بيّنًا يشبه القتل ؛ لأنّ حسرة الفوت قاتلة ، ولا سيما إذا علم المتحسِّر أنه لا سبيل له إلى الاستدراك .

وأيضًا : فالغيرة على التفويت تفويت آخر ، كما يقال : الاشتغال بالندم على الوقت الفائت تضييع للوقت الحاضر . ولذلك يقال : الوقت سيف ، إن لم تقطعه وإلا قطعك .

ثم بيّن الشيخ السبب في كوْن هذا الغيرة قاتلةً ، فقال : « فإن الوقت وَحِيّ التقضي » أي : سريع الانقضاء ، كما تقول العرب : « الوحا الوحا ، العَجل العجل » ، والوَحْيُ:الإعلام في خفاء وسرعة ، ويقال : جاء فلان وَحيًّا . أي : مَجيئًا مسرعًا ، فالوقت منقضٍ بذاته ، منصرمٌ بنفسه .

فمَن غفل عن نفسه تصرَّمتْ أوقاته ، وعظم فواته ، واشتدت حسراته ، فكيف حاله إذا علم عند تحقُّق الفوت مقدار ما أضاع ، وطلب الرُّجعَىٰ فحيل بينه وبين الاسترجاع ، وطلَب تناولَ الفائت ، وكيفَ يرد الأمس في اليوم الجديد ؟! ﴿ **وأنّى لهُمُ التّناوُشُ مِن مكانٍ بعيد** ﴾ ومُنع مما يحبه ويرتضيه ، وعلم أن ما اقتناه ليس مما ينبغي للعاقل أن يقتنيه ، وحيل بينه وبين ما يشتهيه .

فيا حسراتٍ ما إلى ردِّ مثلها ... سبيلٌ ولو رُدّتْ لهانَ التحسُّرُ
هي الشهواتُ اللاءِ كانت تحوَّلتْ ... إلى حسراتٍ حين عزَّ التصبُّرُ
فلو أنها ردّتْ بصبرٍ وقوةٍ ... تَحَوَّلْنَ لذّاتٍ وذو اللُّب يُبْصرُ

ويقال : إن أصعب الأحوال المنقطعة انقطاع الأنفاس ؛ فإن أربابها إذا صعِد النَّفَس الواحد صعّدوه إلى نحو محبوبهم ، صاعدًا إليه ، متلبسًا بمحبته والشَّوْق إليه ، فإذا أرادوا دفعه لم يدفعوه حتى يُتبعوه نفَسًا آخرَ مثله ، فكل أنفاسهم بالله ، وإلى الله ، متلبّسة بمحبته ، والشوق إليه والأنس به ، فلا يفوتهم نَفَس من أنفاسهم مع الله إلا إذا غلبهم النوم ، وكثير منهم يرى في نومه أنه كذلك ، لالتباس روحه وقلبه ، فيحفظ عليه أوقات نومه ويقظته ، ولا تستنكر هذه الحال ؛ فإنّ المحبة إذا غلبتْ على القلب وملكته أوجبت له ذلك لا محالة .

والمقصود أن الواردات سريعة الزوال ، تمرُّ أسرع من السحاب ، وينقضي الوقت بما فيه ، فلا يعود عليك منه إلا أثره ، وحكمه ، فاختر لنفسك ما يعود عليك من وقتك ؛ فإنه عائد عليك لا محالة . لهذا يقال للسعداء : ﴿ **كلوا واشربُوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيّام الخاليةِ** ﴾ ويقال للأشقياء: ﴿ **ذلكَ بما كنتمْ تفرحونَ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ وبما كنْتُمْ تمرحون** ﴾ »[١] .

ويقول ابن القيم في الإشفاق ودرجاته : « (الدرجة الثانية : إشفاقٌ على الوقت أنْ يشوبه تفرُّقٌ) . أي يحْذر على وقته أن يخالطه ما يفرقه عن الحضور مع الله عز وجل »[٢] .

قالوا : مِن علامة المقت ، إضاعة الوقت

وكنْ صارمًا كالوقت فالمَقْتُ في عسى   وإيـاك علَّ فهي أخطـر علَّـةِ[٣]

جميع المصالح تنشأ مِن الوقت :

يقول ابن القيم : « أعلى الفِكَر وأجلّها وأنفعها ما كان لله والدار

---

(١) مدارج السالكين ٣/٤٩ - ٥٠ .

(٢) مدارج السالكين ١/٥١٩ .

(٣) قيمة الزمن عند العلماء ص٢٤ .

الآخرة ، فما كان لله فهو أنواع، ....،....،...، النوع الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته ، وجمع الهمّ[١] كلّه عليه ، فالعارف ابنُ وقته فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحُه كلها ، فجميع المصالح إنما تنشأ مِن الوقت ، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدًا »[٢].

الناكِصُون على أعقابهم وإضاعة الوقت :

يقول ابن الجوزي : « رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبًا : إن طال الليل فبحديث لا ينفع ، أو بقراءة كتابٍ فيه غزاةٌ وسمر . وإن طال النهار فبالنوم ، وهم على أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق ، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم ، وما عندهم خبر ، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود ، فهم في تعبئة الزاد والتأهُّب للرحيل ؛ إلا أنهم يتفاوتون ، وسبب تفاوتهم قلةُ العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة ، فالغافلون منهم يحملون ما اتفق ، وربما خرجوا لا مع خفير . فكمْ ممن قد قُطعت عليه الطريق فبقي مفلسًا !.

فاللهَ اللَّهَ في مواسم العمر ، والبدارَ البدارَ قبل الفوات ، واستشهِدُوا العلم، واستدلُّوا الحكمة، ونافسوا الزمان، وناقشوا النفوس، واستظهروا بالزاد . فكأنْ قد حدا الحادي فلم يفهمْ صوته مِنْ وقْع الندم .

وأيُّ دناءة للهمة أسفل مما نراه في عصرنا من شباب هذه الأمة ، اللّاهين الشاردين وراء كلّ ناعق وناعقة ، يضيّعون الأوقات في المسارح وأمام التلفاز وفي الملاهي أو دُور الخيّالة « السينما » ، أو في مشاهدة مباريات كرة القدم التي أصبحت عبادة قلّ مَن ينجو مِن أسرها ..

---

(١) الهمّة والعزم .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي .

إني لأعجب مِن حاضر أمةٍ شبابُها يجلس أمام التلفاز بثماني ساعاتٍ لمشاهدة كأس العالم في كرة القدم .. وربما طال اللَّعب إلى الفجر .. ويجعلون قدوتهم رِجْلَ « مارادونا » السِّكِّير المقامر الكافر الذي يلبَس طاقية الحاخام ويبكي أمام حائط المبكى قبل ذهابه إلى كأس العالم سنة ١٩٩٠ و سنة ١٩٩٤ ، أَعَلى هذا السكِّير الكافر تُنفق الأعمارُ ؟! .

سبحان من حَبس الناس عن طاعتهم .. وجعل هذا السكِّير يأسرهم بضياع عمرهم في لَعِبِهِ ومحبّته !! هؤلاء ما عاملوا مولاهم ولو بركعتيْن في ظلمات الليالي .

فالناكصون على أعقابهم مِن شباب الأمة أضعافُ أضعافِ مِنَ اقتحم العقبة !

خُذ من الألف واحدًا   واتْرُكِ الكلَّ مِن بعده[١]

رجلٌ بألف ... وألفٌ بخفٍّ !!

واعجبا... تضيع منك حبة فتبكي، وقد ضاع عمرك وأنت تضحك ، تستوفي مكيال هواك وتطفِّفُ في مكيال صلاتك ﴿ **ألا بُعدًا لمدينَ** ... ﴾ غدًا تُوبَّخُ وقتَ عَرْض ألواح ﴿ **أوَ لمْ نعمركم** ... ﴾، بضاعتك أيامُ عمرك وبقية عمر المؤمن لا قيمة له .

يقول ابن رجب الحنبلي : « السعيد مَن اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات ، فعسى أن تصيبه نفحةٌ من تلك النفحات ، فيسعد بها سعادةً يأمن بعدها مِن النار وما فيها من اللّفحات » .

وقد خرّج ابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهما مِن حديث أبي هريرة مرفوعًا : « اطلبوا الخير دهرَكم ، وتعرّضوا لنفحات رحمة ربكم ؛ فإن لله

---

(١) مدارج السالكين ١٣١/٣ .

نفحاتٍ من رحمته يصيب بها مَن يشاء من عباده » .

وفي روايةٍ للطبراني مِن حديث محمد بن مسلمة مرفوعًا : « إن لله في أيام الدهر نفحاتٍ ، فتعرضوا لها ، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحةٌ فلا يشقى بعدها أبدًا » .

وعن مجاهد قال : ما من يوم إلا يقول : ابنَ آدم ، قد دخلتُ عليك اليوم ولن أرجع إليك بعد اليوم ، فانظر ماذا تعمل فيّ . فإذا انقضى طواه ، ثم يختم عليه فلا يُفكُّ حتى يكون الله هو الذي يفضُّ ذلك الخاتم يوم القيامة .

وعن مالك بن دينار قال : كان عيسى عليه السلام يقول : إن هذا الليل والنهار خزانتانِ ، فانظروا ما تضعون فيهما . وكان يقول : اعملوا الليل لما خُلق له ، واعملوا النهار لما خُلق له .

وعن الحسن قال : ليس يوم يأتي مِن أيام الدنيا إلا يتكلم يقول : يا أيها الناس ، إني يوم جديد ، وإني على ما يُعمل فيّ شهيد ، وإني لو قد غربت الشمس لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة .

وعنه أنه كان يقول : يا ابن آدم ، اليوم ضيفُك ، والضيف مرتحلٌ يحمدك أو يذمُّك ، وكذلك ليلتُك .

وعن بكر المزني أنه قال : ما من يوم أخرجه اللهُ إلى أهل الدنيا إلا ينادي : ابن آدم ، اغتنمني لعله لا يوم لك بعدي ، ولا ليلة إلّا تنادي : ابن آدم ، اغتنمني لعله لا ليلة لك بعدي .

وعن عمر بن ذَرٍّ أنه كان يقول : « اعملوا لأنفسكم - رحمكم الله - في هذا الليل وسواه ؛ فإن المغبونَ مَن غبن خيرَ الليل والنهار ، والمحروم مَن حُرم خيرَهما ، إنما جُعلا سبيلًا للمؤمنين إلى طاعة ربهم ، ووبالًا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم ، فأحيُوا لله أنفسَكم بذكره ، فإنما « تحيا القلوب بذكر الله عز وجل » .

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربّه مَثَلُ الحيّ والميت » .

كم مِن قائمٍ لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته ، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله عز وجل للعابدين غدًا ، فاغتنموا ممرّ الساعات والليالي والأيام رحمكم الله .

قال ابن أبي الدنيا : أنشدنا محمود بن الحسين :

مضي أمسُكَ الماضي شهيدًا مُعدّلَا وأعقبَه يـومٌ عليـكَ جديـدُ
فيومُكَ إنْ أغنيتَهُ عادَ نفعُهُ عليكَ وماضي الأمسِ ليسَ يعودُ
فإنْ كنتَ بالأمسِ اقترفتَ إساءَةً فثَنِّ بإحسانٍ وأنتَ حميدُ
فلا تُرجِ فعْل الخير يومًا إلى غدٍ لعلّ غدًا يأتي وأنتَ فقيدُ

قال تعالى : ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفةً لمَنْ أراد أنْ يذّكّر أوْ أراد شكورا** ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

قال قتادة : « فأدُّوا إلى الله مِن أعمالكم خيرًا في هذا الليل والنهار ، فإنهما مطيتان تقحمان الناس إلى آجالهم ، يقرّبان كل بعيدٍ ، ويبليان كل جديد ، ويجيئان بكلّ موعودٍ إلى يوم القيامة »(١).

يقول ابن الجوزي : « ينبغي للإنسان أن يعرف شرفَ زمانه ، وقدْر وقته ، فلا يضيّع منه لحظةً في غير قُرْبةٍ ، ويقدم الأفضل فالأفضل مِن القوْل والعمل. ولتكُنْ نيتُه في الخير قائمةً - من غير فتورٍ - بما يعجز عنه البدن من العمل .

وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات :

فنُقل عن عامر بن عبد قيس أن رجلًا قال له : كلِّمني . فقال له :

(١) لطائف المعارف ١١ - ١٣ .

أمسك الشمس .

وقال ابن ثابت البناني : ذهبت أُلَقِّنُ أبي ، فقال : يا بني ، دعني ؛ فإني في ورْدي السادس .

وَدخلوا على بعض السلف عند موته وهو يصلي ، فقيل له ، فقال : الآن تُطوىٰ صحيفتي .

فإذا علم – وإنْ بالغ في الجد – أن الموت يقطعه عن العمل ، عَمِل في حياته ما يدوم له أجره بعد موْته . فإن كان له شيءٌ من الدنيا وقف وقْفًا ، وغرس غرسًا ، وأجرى نهرًا ، ويسعى في تحصيل ذريةٍ تذكر الله بعده ، فيكون الأجر له . أو أن يصنف كتابًا من العلم ، فإنَّ تصنيفَ العالم ولدُه المُخلَّد ، وأن يكون عاملًا بالخير ، عالمًا فيه ، فينقل مِن فعْله ما يقتدي الغيرُ به ، فذلك الذي لم يمت .

قد مات قومٌ وهم في الناس أحياءُ »(١)

قال ﷺ : « سَبعٌ يجري للعبد أجرُهنَّ وهو في قبره بعد موْته : من علّم علمًا ، أوْ أجرىٰ نهرًا ، أو حفر بئرًا ، أو غرس نخلًا ، أو بنى مسجدًا ، أو ورّث مصحفًا ، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موْته » . فهذا من علوّ الهمة في حفْظ الوقت حتى بعد الممات .

ويقول ابن الجوزي رحمه الله : « رأيتُ العاداتِ قد غلبت الناس في تضييع الزمان ، وكان القدماء يحذرون من ذلك :

قال الفضيل : أَعرفُ مَن يُعد كلامه مِن الجمعة إلى الجمعة .

ودخلوا على رجلٍ من السلف فقالوا: لعلنا شغلناك. فقال: أصدقكم؟ كنت أقرأ فتركتُ القراءة لأجلكم .

---

(١) صيد الخاطر ٢٠ – ٢١ .

وجاءَ « سرِيّ السّقطيّ » إلى رجلٍ من المتعبدين فرأى عنده جماعةً فقال : صرتَ مناخَ البطَّالين ! ثم مضى ولم يجلس .

ومتى لانَ المَزُورُ طمِعَ فيه الزائر فأطال الجلوس فلم يسْلَم من الأذى .

وقد كان جماعة قعودًا عند معروف فأطالوا . فقال : إن مَلَك الشمس لا يفتر في سوقها ، أفما تريدون القيام ؟!.

وقيل لكُرْز بن وبرة : لو خرجتَ إلى الصحراء . فقال : يبطل الزوجار .

وكان داود الطائي يستفُّ الفتيت ويقول : بين سفِّ الفتيت وأكْل الخبز قراءة خمسين آية .

وكان عثمان الباقلاوي دائم الذكر لله تعالى ، فقال : إني وقت الإفطار أُحسُّ بروحي كأنها تخرج ؛ لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر .

وأوْصى بعضُ السلف أصحابه فقال : إذا خرجتم من عندي فتفرّقوا ، لعلَّ أحدكم يقرأ القرآن في طريقه ، ومتى اجتمعتم تحدثتم .

واعلم أن الزمان أشرفُ من أن يضيّع منه لحظةٌ ؛ فإن في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَن قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غُرست له نخلةٌ في الجنة » . فكم يضيّع الآدمي من ساعاتٍ يفوته فيها الثواب الجزيل !

والذي يعين على اغتنام الزمان : الانفراد والعزلة مهما أمكن ، والاختصار على السلام أو حاجة مُهمَّةٍ لمن يلقى ، وقلة الأكل ، فإن كثرته سببُ النوم الطويل وضياع الليل ، ومَن نظر في سِيَر السلف وآمن بالجزاء بان له ما ذكرتُه[1] .

---

(١) صيد الخاطر ٤٧٩ - ٤٨٠ .

واعجبا مِنْ مضيّع لحظةٍ :

يقول ابن الجوزي : « والله إني لأتخايل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها من غير مرضٍ ولا بُصاقٍ ولا نومٍ ولا آفةٍ تطرأ ، بل صحةٌ دائمةٌ وأغراضٌ متصلةٌ لا يعتورها مُنغِّصٌ ، في نعيم متجدد في كلّ لحظة إلى زيادةٍ لا تتناهى - فأطيش ، ويكاد الطَّبع يضيق عن تصديق ذلك لولا أنَّ الشرع قد ضمنه . ومعلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدْر الاجتهاد هاهنا . **فواعجبا من مضيع** لحظةٍ يقع فيها !! فتسبيحةٌ تُغرس له في الجنة نخلةً أُكُلُها دائمٌ وظلُّها . فكل الآفات والمخافات في نهار الأجل ، وقد اصفرَّت شمسُ العمر ؛ فالبدارَ البدارَ قبل الغروب ، ولا معينَ يرافق على تلك الطريق إلا الفكر إذا جلس مع العقل فتذاكرا العواقب ، فإذا فرغ المجلس فالنظر في سير المجِدِّين ، فإنه يعود مستجلبًا للفكر منها شتَّى الفضائل ، والتوفيق مِن وراء ذلك ، ومتى أرادك لشيءٍ هيَّأك له . فأما مخالطةُ الذين ليس عندهم خبر إلا العاجلة فهو من أكبر أسباب مرض الفهم وعلل العقل . والعزلة عن الشرّ حميةٌ والحمية سببُ العافية »[1] .

إيـاك وقطّاع الطريق إلى الآخـرة :

مخالطة أهل الدنيا مضيِّعةٌ للوقت قاطعةٌ طريق الآخرة . فالواحد منهم قبرٌ يسعى إلى قبرٍ مثله ، زَمِنٌ يقوده زَمْنَى مثله .. فيا شَرِهُ ، هذا سمٌّ والقرب منه هلاكٌ .. فإن ابتليتَ به فأعطه ظاهرك وترحَّل عنه بقلبك .

وشغلتُ عن فهْم الحديث سوى ... ما كـان عنـك فإنـه شغْلـي
وأديم نحو مُحدثي وجهي ليرى ... أنْ قـدْ عقلـتُ وعنـدكم عقلـي

ويقول الآخر :

واللهِ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ ... إلا وحبُّـكَ مقـرونٌ بأنفاسـي

---

(١) صيد الخاطر ص٣٢٩ .

ولا جلستُ إلى قوم أحدِّثهم　　　إلا وأنت حديثي بين جُلّاسي

الخلطة مضيِّعةٌ للوقت مُفسدةٌ للقلب :

يقول ابن القيم : « فأما ما تؤثّره كثرةُ الخلطة : فامتلاء القلب مِن دُخان أنفاس ابن آدم حتى يسودَّ ويوجب له تشتُّتًا وتفرُّقًا ، وهمًّا وغمًّا وضَعْفًا ، وحمْلًا لما يعجز عن حمْله من مُؤْنة قرناء السوء ، وإضاعة مصالحه والاشتغال عنها بهم وبأمورهم ، وتَقَسّم فكرُهُ في أوديةِ مطالبهم وإراداتهم ، فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة ؟!

هذا ، وكمْ جلبتْ خلطةُ الناس من نقمةٍ ، ودفعتْ من نعمةٍ ، وأنزلتْ من محنةٍ ، وعطّلتْ من منحة ، وأحلّتْ من رزيّة ، وأوقعتْ في بليّة ! وهل آفةُ الناس إلا الناس ؟!

وهل كان على أبي طالب - عند الوفاة - أضرّ من قرناء السوء ؟! لم يزالوا به حتى حالوا بينَه وبيْن كلمةٍ واحدةٍ تجلِب له سعادة الأبد .

والضابط النافع في أمْر الخلطة أن يخالط الناس في الخير كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلُّم العلم، والجهاد، والنصيحة، ويعتزلهم في الشرِّ وفضول المباحات ، وإنْ دعتِ الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات فليجتهدْ أن يقلب ذلك المجلس طاعةً لله إنْ أمكنه ، ويشجع نفسه ويُقوِّي قلبَه ، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك ، بأنَّ هذا رياءٌ ومحبةٌ لإظهار علمْك وحالك ، ونحو ذلك،فليحاربْه وليستعن بالله ، ويُؤثّر فيهم من الخيـر ما يمكنه ، فإنْ أعجزته المقادير عن ذلك فَلْيَسُـلّ قلبه من بينهم كَسَلِّ الشعرة من العجين ، ولْيكنْ فيهم حاضرًا غائبًا ، قريبًا بعيدًا ، نائمًا يقظـانَ، ينظر إليهم ولا يبصرهم ، ويسمع كلامهم ولا يعيه ؛ لأنه قد أخذ قلبه مِن بينهم ، ورقَى به إلى الملأ الأعلى ، يسبح حوْل العرش مع الأرواح العُلْوية الزكيّة ، وما أصعب هذا وأشقَّهُ على النفوس ، وإنه ليسيرٌ

على مَن يسَّرهُ الله عليه ، فبين العبد وبيْنه أن يَصدُق الله تبارك وتعالى ، ويُديم اللُّجأ إليه ، ويُلقي نفسَه على بابه طريحًا ذليلًا ، ولا يعين على هذا إلا محبةٌ صادقةٌ ، والذكر الدائم بالقلب »(١).

تَعَوُّذ ابن الجوزي مِن صحبة البطَّالين :

قال ابن الجوزي : « أعوذ بالله من صحبة البطَّالين ؛ لقد رأيتُ خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما اعتاده الناس مِن كثْرةِ الزيارة ، ويسمُّون ذلك التَّردُّدَ خدمةً ، ويُطيلون الجلوس ، ويُجرون فيه أحاديث الناس وما لا يُغني ، ويتخلَّلُه غِيبةٌ ، وهذا شيءٌ يفعله في زماننا كثيرٌ من الناس ، وربما طلبه المَزور ، وتشوَّق إليه واستوحش مِن الوحدة ، وخُصوصًا في أيَّام التهاني والأعياد ، فتراهم يمشي بعضُهم إلى بعضٍ ، ولا يقتصرون على الهناء والسلام ، بل يمزجون ذلك بما ذكرتُه مِن تضييع الزمان ، فلما رأيت أنَّ الزمان أشرفُ شيءٍ ، والواجب انتهابُه بفعْلِ الخير؛ كرهْتُ ذلك وبقيتُ معهم بين أمرَيْن : إنْ أنكرتُ عليهم وقعتْ وحشةٌ لموْضع قطْع المألوف ، وإنْ تقبَّلتُه منهم ضاع الزمان ! فصرت أدافع اللقاء جهدي ، فإذا غُلبت قصّرت في الكلام لأتعجل الفراق ، ثم أعددتُ أعمالًا لا تمنع مِن المحادثة لأوقات لقائهم ، لئلا يمضي الزمان فارغًا ، فجعلتُ من الاستعداد للقائهم قطْع الكاغد(٢) ، وبرْي الأقلام ، وحزْم الدفاتر ؛ فإن هذه الأشياء لا بد منها ولا تحتاج إلى فكرٍ وحضور قلبٍ ، فأرصدتُها لأوقاتِ زيارتهم لئَلَّا يضيعَ شيءٌ مِن وقتي »(٣).

---

(١) مدارج السالكين ١/٤٥٤ - ٤٥٦ .

(٢) قصُّ الورق .

(٣) صيد الخاطر .

« قال ابن مسعود رضي الله عنه : ما ندمتُ على شيءٍ ندمي على يومٍ غربتْ شمسُه ، نقص فيه أَجَلي ، ولم يزد فيه عملي .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إن الليل والنهار يعملان فيك فاعملْ فيهما .

وقال الحسن البصري رحمه الله : يا ابن آدم ، إنما أنت أيامٌ ، فإذا ذهب يومٌ ذهبَ بعضُك . وقال أيضًا : أدركتُ أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشدّ منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم .

وانظرْ إلى سادات الرجال وحفْظهم لأوقاتهم :

فهذا حماد بن سلمة ، يقول عنه تلميذه عبد الرحمن بن مهدي : « لو قيل لحمّاد بن سلمة : إنك تموت غدًا،ما قدَر أن يزيد في العمل شيئًا .

وقال موسى بن إسماعيل التبوذكي : لو قلت لكم : إني ما رأيتُ حماد بن سلمة ضاحكًا،لَصدقتُ ؛ كان مشغولًا : إما أن يحدّث ، أو يقرأ ، أو يسبّح ، أو يصلي ، وقد قسّم النهار على ذلك .

قال يونس المؤدِّب : مات حماد بن سلمة وهو في الصلاة رحمة الله عليه »[(١)]:

« كان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول : أثقل الساعات عليّ : ساعةٌ آكُل فيها »[(٢)] .

وانظر - يرحمك الله - إلى الإمام أبي يوسف القاضي صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه ، يباحث - وهو في النَّزع والذّماء - بعض عُوّاده في مسألةٍ فقهيةٍ : « قال تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي ثم المصري : مرض أبو يوسف فأتيته أعوده فوجدتُه مغمًى عليه ، فلما أفاق قال لي : يا إبراهيم ،

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢٠٢/١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٤٧/٧ .

(٢) الحثُّ على طلب العلم - لأبي هلال العسكري ص٨٧ .

ما تقول في مسألة ؟ قلت : في مثل هذه الحالة ؟! قال : ولا بأس بذلك ، ندرس لعلّه ينجو به ناجٍ . ثم قال : يا إبراهيم ، أيّما أفضل في رمْي الجمار ، أن يرميها ماشيًا أوْ راكبًا ؟ قلت : راكبًا . قال : أخطأت . قلت : ماشيًا . قال : أخطأت . قلتُ : قُلْ فيها ، يرضى الله عنك . قال : أمّا ما كان يُوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه ماشيًا ، وأما ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكبًا . ثم قمت مِن عنده ، فما بلغت باب داره حتى سمعتُ الصراخ عليه ، وإذا هو قد مات رحمة الله عليه »[١] .

رحمة الله على أبي حنيفة وتلاميذه ، فهذا محمد بن الحسن الشيباني الإمام ، التلميذ الثاني لأبي حنيفة ، « كان لا ينام الليل وكان يضع عنده دفاتر - يعني كتبًا - فإذا ملّ مِن نوعٍ نظر في آخر ، وكان يزيل نوْمه بالماء ويقول : إن النوم من الحرارة »[٢] .

العجب العجابُ عند عُبيد بن يَعيش :

وهذا الإمام الحافظ عُبيد بن يعيش شيخ البخاري ومسلم ، روى عنه عمّار بن رجاء قال : « سمعت عبيد بن يعيش يقول : أقمت ثلاثين سَنةً ما أكلتُ بيدي بالليل ، كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث »[٣] .

ابن جرير الطبري آية من الآيات في حفْظِ الوقت :

قال القاضي أبو بكر أحمد بن كامل الشجري تلميذ ابن جرير وصاحبه : « كان إذا أكل نام في قميصٍ قصير الأكمام ، ثم يقوم فيصلي الظهر في بيته ، ويكتب في تصنيفه إلى العصر ، ثم يخرج فيصلي العصر ، ويجلس للناس يُقرىء ويُقرأ عليه إلى المغرب ، ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء ص٢٨ ، ٢٩ نقلًا عن الجواهر المضيّة ١/٧٦ .
(٢) قيمة الزمن ص٣١ نقلًا عن مفتاح السعادة - لطاشكبري زادة ١/٣٦ .
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - للخطيب ٢/١٧٨ .

إلى العشاء الآخرة ، ثم يدخل منزله ، وقد قسّم ليله ونهاره في مصلحة نفسه ودينه والخلق كما وفّقه الله عز وجل » .

« وقال الخطيب البغدادي : سمعت السِّمسمي يحكي أن ابن جرير مكث أربعين سنةً ، يكتب في كلّ يوم منها أربعين ورقةً .

وحدّث تلميذه الفرْغاني في كتابه - المعروف بكتاب « الصلة » ، وهو كتاب وصل به « تاريخ ابن جرير » - أن قومًا من تلاميذ ابن جرير ، حصَّلوا أيَّامَ حياته - منذ بلغ الحُلُم إلى أن تُوفّي وهو ابن ستٍّ وثمانين سنة - ثم قسَّموا عليها أوراق مُصنَّفاته ، فصار منها على كلّ يوم أربع عشرة ورقةً ، وهذا شيءٌ لا يتهيَّأ لمخلوق إلا بحسْنِ عنايةِ الخالق .

إذا حَسبْنا أيام الاثنين والسبعين سنةً وجعلنا لكلِّ يوم منها أربعَ عشرةَ ورقة تصنيفًا ، كان مجموع ما صنفه الإمام ابن جرير نحو ثماني وخمسين وثلاثمائة ألفِ ورقةٍ .

تبارك الله ... ماذا تبلغُ الهمم !! فهو في كثرة تآليفه بمثابة دارٍ للنشر ، وهو فردٌ واحدٌ بنفسه ، يكتب بقلمه لنفسه ويؤلف على ورقه بنفسه ، ويُخرج للناس فكره وعلمه عسلًا مُصفًّى وزبدًا شهيًّا ، وما كان يكون له كل ذلك ، لولا أنه كان يكسب وقته »[1].

وهذا الإمام ابن الخياط النحوي ، « يدرس جميع أوقاته حتى في الطريق ، وكان ربما سقط في جُرْفٍ أوْ خبطته دابَّة »[2] .

وانظر - يرحمك الله - إلى الحاكم الشهيد أبي الفضل محمد بن محمد المروزي القاضي الوزير إمام أصحاب أبي حنيفة ، يقول عنه الحاكم صاحب

---

(١) قيمة الزمن ص٤٣ - ٤٤ .

(٢) قيمة الزمن ص٤٥ - ٤٦ .

« المستدرك » : « لقد حضرتُ عشية الجمعة مجلسَ الإملاء للحاكم أبي الفضل ، ودخل أبو علي بن أبي بكر بن المظفر الأمير ، فقام له قائمًا ولم يتحرَّك من مكانه ، وردّه من باب الصُّفَّة ، وقال : انصرف أيها الأمير ، فليس هذا يومك »[١] .

وهذا شيخ المحدّثين الخطيب البغدادي ، « كان يمشي وفي يده جزءٌ يطالعه » ، وما ذلك إلا للحفاظ على الوقت ، وكسْب الزمن أن يذهب فارغًا أثناء المشي دون استفادةٍ به في جنب العلم .

وهذا الإمام سُليم الرازي أحد أئمة الشافعية المُتوفَّى سنة ٤٤٧هـ ، قال عنه التاج السُّبكي : « كان - رحمه الله - مِن الورع على جانبٍ قويٍّ ، يحاسب نفسه على الأوقات ، لا يدع وقتًا يمضي بغير فائدة ، إما ينسخ أوْ يدرس أوْ يقرأ ، وينسخ شيئًا كثيرًا ، قال ابن عساكر : « ولقد حدثني عنه شيخنا أبو الفرج الإسفراييني أنه نزل يومًا إلى داره ورجع ، فقال : قد قرأت جزءًا في طريقي . قال أبو الفرج : وحدثني المؤمّل بن الحسن أنه رأى سُلَيمًا حَفِي عليه القلم ، فإلى أن قَطّه جعل يحرك شَفَتَيْه ، فعلم أنه يقرأ بإزاء إصلاحه القلم ؛ لئلا يمضي عليه زمان وهو فارغ » .

أيْ لما شغلتْ يداه حرّك شفتيْه بذكر الله؛لئلا يذهب الزمان فارغًا ، فللَّهِ درُّه .. ما أَعرفَهُ بالغنائم ! »[٢] .

ابن عقيل وابن الجوزي ... غاية الغايات في حفْظ الوقت :

انظر - رحمك الله - إلى الإمام أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي وحفظه لوقته ، ومعرفته بنفاسته ، يقول : « إني لا يحل لي أن أضيّع ساعة مِن عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرةٍ أو مناظرة ، وبصري عن

(١) قيمة الزمن ص٤٦ .
(٢) قيمة الزمن ص٥٠ ، ٥١ .

مطالعة ، أعملتُ فكري في حالِ راحتي وأنا منطرحٌ ، فلا أنهضُ إلا وقد خطر لي ما أسطّره ، وإني لأجد مِن حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنةً . وأنا أُقصّر بغاية جهدي أوقاتِ أكْلي ، حتى أختار سَفّ الكَعْكِ ، وتحسِّيهِ بالماء على الخبز ؛ لأجل ما بينهما من تفاوُتِ المضْغ ، توفُّرًا على مطالعةٍ ، أو تسطيرِ فائدةٍ لم أدركها فيه ، وإنَّ أجَلَّ تحصيلٍ عند العقلاء - بإجماع العلماء - هو الوقت ، فهو غنيمةٌ تُنتهَزُ فيها الفُرَصُ ، فالتكاليف كثيرةٌ والأوقات خاطفةٌ » .

هذا الإمام العظيم الذي يقول عنه ابن الجوزي : « كان الإمام ابن عقيل دائم الاشتغال بالعلم ، وكان له الخاطر العاطر ، والبحث عن الغوامض والدقائق ، وجعل كتابه المسمَّى بـ « الفنون » مناطًا لخواطره وواقعاته ، وله تصانيف كثيرةٌ في أنواع العلوم ، وأكبر تصانيفه : « الفنون » ، وهو كتاب كبيرٌ جدًّا ، فيه فوائد كثيرةُ جليلةٌ في الوعظ ، والتفسير ، والفقه وأصول الفقه ، وأصول الدين ، والنحو ، واللغة والشعر ، والتاريخ » .

قال الذهبي : « لم يُصنَّف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني مَن رأى منه المجلَّدَ الفلاني بعد الأربعمائة . قال ابن رجب : وقال بعضهم : هو ثمانمائة مجلدة » .

فانظر - رحمك الله - كيف يُثمر حفظ الوقت ودأب النفس في الخير والعلم « ثمانمائة مجلدة » ، أكبر كتاب في الدنيا ، إلى جانب تآليف كثيرةٍ غيره .

يقول ابن عقيل في فاتحة كتابِهِ « الفنون » : « أما بعد ، فإنَّ خير ما قُطِع به الوقت وشُغلت به النفس ، فتُقرِّب به إلى الربِّ ، جلَّت عظمته - طلبُ علمٍ أَخرج من ظُلمةِ الجهل إلى نور الشرع ، وذلك الذي شَغلتُ به نفسي ، وقطعت به وقتي ، فما أزال أعلق ما أستفيده من ألفاظ العلماء ،

ومن بطون الصحائف ، ومن صَيْد الخواطر التي تنثرها المناظرات والمقابَسات في مجالس العلماء ، ومجامع الفضلاء طمعًا في أن يعْلق فيَّ طرفٌ من الفضْل ، أبعد به عن الجهل ، لعلِّي أصل إلى بعض ما وصل إليه الرجال قبلي ، ولو لم يكن مِن فائدته عاجلًا إلَّا تنظيف الوقت من الاشتغال برُعُونات الطباع التي تنقطع بها أوقاتُ الرِّعَاع لكفَى ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبي ونِعم الوكيل » .

وانظر إلى الإمام العظيم ابن الجوزي في دُرَرِهِ التي ينصح بها ولده — المسماة بـ « لفتة الكبد في نصيحة الولد » —: « اعلم يا بنيَّ أنَّ الأيام تُبسَطُ ساعاتٍ ، والساعاتُ تُبْسَط أنفاسًا ، وكلُّ نفَس خِزانةٌ ، فاحذرْ أن يذهب نَفَسٌ بغير شيءٍ ، فترى في القيامة خِزانةً فارغةً فتندم ، وانظر كلَّ ساعةٍ مِن ساعاتك بماذا تذهب ، فلا تُودِعْها إلا إلى أشرف ما يمكن ، ولا تهملْ نفسك ، وعَوِّدْها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه ، وابعث إلى صُندوقِ القبر ما يسرُّك يوم الوصول إليه » .

فماذا بعث ابن الجوزي إلى صندوق قبره ؟ وكيف كانت همته في حِفْظ وقْتِهِ ؟

فاتني أنْ أرىٰ الديـار بطـرفي فلعلّي أرىٰ الديار بسَمعي

لقد كانت همة ابن الجوزي في حفظ وقته عَلِيَّة ، تدل عليها تصانيفهُ التي هي زبدة عمره :

قال ابن رجب في ترجمة ابن الجوزي : « لم يترك فنّا من الفنون إلا وله فيه مصنَّف ، وسئل عن عدد تآليفه ، فقال : زيادة على ثلاثمائة وأربعين مُصَنَّفًا ، منها ما هو عشرون مجلّدًا ، ومنها ما هو كرّاسٌ واحد .

وقال الموفَّق عبد اللطيف : كان ابن الجوزي لا يُضيّع مِن زمانه شيئًا ، يكتب في اليوم أربعة كراريسٍ ، ويرتفع له كلُّ سنةٍ من كتابته ما

بين خمسين مجلدًا إلى ستِّين »[١].

« قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : سمعت جدي يقول على المنبر في آخر عُمرِه : كتبت بإصبعَيّ هاتيْن ألفَيْ مجلدٍ »[٢].

قال ابن الوردي في « تتمة المختصر في أخيار البشر » : « قيل : إنه جُمعت الكراريسُ التي كتبها أبو الفرج ابن الجوزي وحُسبت مدة عُمُره ، فقسِّمتْ على المدة ، فكان ما خصّ كلَّ يوم منها تسعةُ كراريس » .

ذكر ابن رجب الحنبلي في « ذيل طبقات الحنابلة »[٣] أن الإمام ابن تيمية قال في أجوبته المصرية : كان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كثير التصنيف والتأليف ، وله مصنفات في أمور كثيرة ، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألفِ مصنفٍ ، ورأيت بعد ذلك ما لم أرَه .

وقال الذهبي : وما علمت أحدًا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل .

ونقل القمي في « الكُنىٰ والألقاب » « أن بُراية أقلام ابن الجوزي التي كتب بها الحديث جُمعتْ فحصُل منها شيءٌ كثيرٌ ، وأوْصىٰ أنْ يُسَخَّن بها الماء الذي يُغسل به بعد موْته ، ففُعل ذلك فكَفَت وفضل منها »[٤].

فرحمةُ الله على شيخ الإسلام ابن الجوزي .

لا تقعدنَّ لذكرنا في ذكْرِهِمْ   ليْسَ الصحيح إذا مشىٰ كالمُقْعَدِ

شيخ الإسلام ابن تيمية :

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ، كان لا يُفَوِّت ساعةً مِن وقته دون

---

(١) ذيْل طبقات الحنابلة ١/٤٠١ .
(٢) تذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٤ ، وذيل طبقات الحنابلة ١/٤٠١ .
(٣) ذيل طبقات الحنابلة ١/٤١٥ .
(٤) فوات الوفيات ١/٣٨ ، ٤٢ .

تعليم أو تأليفٍ أو عبادة ، حتى بلغتْ مؤلفاته المئات، بل لم يمكن حصْرها للمتتبعين ، حتى ولا للشيخ نفسه ، رحمه الله .

قال ابن شاكر الكتبي : « إن تصانيفه تبلغ ثلاثمائة مجلدٍ . قال الذهبي : وما يبعد أنّ تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدٍ »[(١)] .

قال ابن القيم : « وقد شاهدتُ من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه ، وكلامه ، وإقدامه ، وكتابته ، أمرًا عجيبًا فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر »[(٢)] .

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي : « وأما تصانيفه فقد امتلأت بها الأمصار ، وجاوزت حدَّ الكثرة ، فلا يمكن لأحدٍ حصْرها »[(٣)].

الفخر الرازي :

قال الفخر الرازي : « والله إنني أتأسَّف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل ؛ فإن الوقت والزمان عزيز » .

الحافظ الأثري : عبد الغني المقدسي :

قال عنه تلميذه الضياء المقدسي : « كان لا يضيع شيئًا من زمانه ، كان يصلي الفجر ، ويلقن القرآن ، وربما لقّن الحديث ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قُبَيْل الظهر ، فينام نومة فيصلي الظهر ، ويشتغل بالتسميع أو النسخ إلى المغرب ، فيفطر إن كان صائمًا ، ويصلي العشاء ، ثم ينام إلى نصف الليل أو بعده ، ثم يتوضأ ويصلي إلى قريب الفجر ، وربما توضأ سبع مراتٍ أو أكثر ، ويقول : تَطِيبُ لي الصلاة ما

---

(١) فوات الوفيات ١/٣٨ ، ٤٢ .

(٢) الوابل الصيب ص١٠٨ .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٣ .

دامت أعضائي رطبة . ثم ينام نومةً يسيرةً قبل الفجر ، وهذا دأبه »[١] .

ابن سُكَيْنة واختصار السلام :

وانظر - يرحمك الله - إلى شيخ الإسلام عبد الوهاب بن علي بن سُكَيْنة البغدادي الشافعي ، « كانت أوقاته محفوظة ، وكلماته معدودة ، فلم تمضِ له ساعةٌ إلا في قراءةِ قرآن ، أو ذكْرٍ ، أو تهجدٍ ، أو قراءةِ الناس عليه ، وكان يمنع الناس من التحديث في مجلسه بلغوٍ أو غيبةِ إنسانٍ ، أو ما لا فائدة فيه . لا يخرج من بيته إلا لحضور جمعةٍ أو عيد أو جنازة ، ولا يحضر دور أبناء الدنيا في هناءٍ ولا عزاء .

قال يحيى بن القاسم مدرس النظامية : كان ابن سُكَيْنة عالمًا عاملًا ، لا يضيّع شيئًا مِن وقتِهِ ، وكنا إذا دخلنا عليه يقول : لا تزيدوا على « سلامٌ عليكم ، مسألة » ؛ لكثرة حرصه على المباحثة وتقرير الأحكام »[٢] .

وهذا والله شيءٌ عجيبٌ إذْ يدعوهم إلى اختصار السلام « سلامٌ عليكم » ، ويمنعهم من التجمُّل بالمجاملات المعتادة ، ويأمرهم أن يدخلوا في المباحثة والمدارسة فوْر سلامهم ، كسبًا للوقت .

شيخ الإسلام مجْد الدين ، أبو البركات ، ابن تيمية :

وعند آل تيمية الدُّرَرُ الغوالي :

فهذا شيخ الإسلام مجْد الدين أبو البركات ، عبد السلام بن عبد الله بن تيمية ، يروي أعجوبةً عنه ابن رجب الحنبلي فيقول : « قال شيخنا أبو عبد الله ابن القيم : حدثني أخو شيخنا عبد الرحمن بن عبد الحليم بن تيمية ، عن أبيه ، قال : كان الجد - مجد الدين - إذا دخل الخلاء يقول

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٥ - ٣٤ .

(٢) ذيل تاريخ بغداد ١/٣٥٤ - ٣٦٨ .

لي : اقرأ في هذا الكتاب ، وارفعْ صوتك حتى أسمع . قلت – ابن رجب –: يشير بذلك إلى قوة حرْصه على العلم ، وحفْظه لأوقاته »[١].

المنذري يَبْلُغ النهاية في حفْظ وقته :

قال التاج السُّبكي عن المنذري : « وقد درّس بالآخرة في دار الحديث الكاملية ، وكان لا يخرج منها إلا لصلاةِ الجمعة ، حتى إنه كان له ولد نجيبٌ محدّث فاضلٌ ، هو رشيد الدين أبو بكر محمد ، تُوفِّي سنة ٦٤٣هـ ، توفَّاه الله تعالى في حياته ليضاعف له في حسناته ، فصلى عليه الشيخ داخل المدرسة ، وشيّعه إلى بابها ، ثم دمعتْ عيناه ، وقال : أودعتُك يا ولدي الله تعالى ، وفارقه »[٢]. ولم يخرج من المدرسة .

النَّوويّ :

قال ابن العطار تلميذ النووي : « ذكر لي شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان لا يُضيّع له وقتًا ، لا في ليل ولا في نهار ، إلا في الاشتغال بالعلم حتى في الطريق يكرّر أو يطالع ، وأنه دام على هذا ست سنين ، ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق ، وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكْلة بعد عشاء الآخرة ، ويشرب شربة واحدة عند السَّحر ، ويمتنع عن أكْل الفواكه والخيار ، ويقول : أخاف أن يرطب جسمي ويجلب لي النوم .

أعاذلتي على إتْعابِ نفسي ورعْيي في الدّجى روْضَ السُّهادِ
إذا شام الفتى بَرْقَ المَعَالي فأهونُ فائتٍ طِيبُ الرُّقادِ[٣]

وقال غيره :

يَهْوَىٰ الدياجي إذا المغرورُ أغْفَلَها كأنَّ شُهْبَ الدياجي أعْينٌ نُجْلُ

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٤٩ ، ٢٥٢ .
(٢) طبقات الشافعية ٨/٢٦٠ .
(٣) البيتانِ لابن نباتة السعدي .

ابن النفيس ونفاسةُ وقته :

أمّا الإمام الفقيه مكتشفُ الدورة الدموية ابن النفيس ، فقال عنه الإمام برهان الدين إبراهيم الرشيدي : « كان العلاء بن النفيس إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مَبريَّةً ، ويدير وجهه إلى الحائط ، ويأخذ في التصنيف إملاءً من خاطره ، ويكتب مثل السَّيْل إذا انحدر ، فإذا كَلَّ القلم وحَفِيَ رمى به وتناول غيره ، لئلَّا يضيع عليه الزمان في بري القلم »[١] .

الإمام : الشمس الأصبهاني ... إمامٌ في حفْظ الوقت :

شمس الدين أبو الثناء الأصبهاني محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الشافعي .

قال عنه ابن حجر في « الدرر الكامنة » ، والشوكاني في « البدر الطالع » : « اشتغل في بلاده ، ومهر وتقدَّم في الفنون ، وقدِم دمشق بعد زيارة القدس في صفر سنة ٧٢٥هـ ، فبهرت أهلها فضائِله ، وسمع كلامه الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، فبالغ في تعظيمه ، قال مرة : اسكتوا حتى نسمع كلام هذا الفاضل الذي ما دخل البلاد مثله . ثم انتقل إلى القاهرة وفيها توفي .

وممَّا يُحكى عنه مِن حرصه على العلم وشحِّه بضياع أوقاته ، أن بعض أصحابه كان يذكر أنه كان يمتنع كثيرًا من الأكْل ، لئلا يحتاج إلى الشُّرب ، فيحتاج إلى دخول الخلاء ، فيضيع عليه الزمان »[٢] .

مَثَلُه مَثَلُ مَن يقول : وددتُ لو أن رزقي نواة أمصُّها ، لقد سئمت مِن كثرة ترددي إلى الخلاء .

---

(١) الدرر الكامنة ٦/٨٥ .

(٢) البدر الطالع ٢/٢٩٨ .

ابن عساكر حافظ الدنيا :

والإمام مطلقًا ، الحافظ ابن عساكر ، قال عنه ولده المحدّث بهاء الدين القاسم : « كان أبي رحمه الله مواظبًا على الجماعة والتلاوة ، يختم كلّ جمعة ، ويختم في رمضان كلَّ يوم ، ويعتكف في المنارة الشرقية (من جامع دمشق) ، وكان كثير النوافل والأذكار ، يُحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والذكر ، وكان يحاسب نفسَه على لحظة تذهب ، لم يشتغل منذ أربعين سنةً - أي منذ أذن له شيوخه بالرواية والتحديث - إلا بالجمع والتسميع حتى في نزهته وخلواته »[(١)] .

ألّف « تاريخ دمشق » الذي قال عنه ابن خلّكان : « قال لي شيخنا الحافظ العلّامة زكيّ الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري حافظ مصر - وقد جرى ذكْر هذا التاريخ ، وأخرج لي منه مجلدًا ، وطال الحديث في أمْره واستعظامه -: ما أظنُّ هذا الرجل إلا عزَم على وضْع هذا التاريخ مِن يوْم عقل على نفسه ، وشرع في الجمع مِن ذلك الوقت ، وإلا فالعمر يقصُر عن أنْ يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبُّه .

ولقد قال الحق ، ومَنْ وقف عليه عرَف حقيقة هذا القول ، ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله ؟! وهذا الذي ظهر - ثمانون مجلدًا - هو الذي اختاره ، وما صحّ له هذا إلا بعد مُسوَّداتٍ ، ما كاد ينضبط حصرها ، وله - غيره - تواليفُ حسنةٌ ، وأجزاء ممتعة »[(٢)] .

أولئكَ قومٌ شيَّد اللهُ فخرهُم فما فوْقه فخرٌ وإنْ عَظُم الفْخرُ

« هذه لمعاتٌ من سيرة الإمام الفذ الحافظ ابن عساكر الدمشقي ، وفيها ما رأيت من العجائب الغرائب ، والمدهشات المطربات ، ولولا محافظتُه

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٣٢٨/٤ .
(٢) وفيات الأعيان ٣٣٥/١ .

على الأوقات ، واغتنامُهُ الدقائق واللحظات ، ما كانت تتأتّى له تلك التآليف الضخمة الجامعة المانعة ، التي تعجز المجامع العلمية اليوم عن طبْعها فضلًا عن تأليف مثلها . فالحِفَاظَ الحِفَاظَ على الأوقات واللحظات ؛ فهي كَنْزُ البركات والخيرات »[1] .

قالت رابعة لسفيان : « إنما أنت أيّامٌ معدودة ، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضُك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلُّ ، وأنت تعلم فاعملْ »[2] .

حياتــك أنفــاسٌ فكلمـــا مضى نفسٌ منها انتقُصْتَ به جزءًا

قال الحجاج بن عنبسة : « اجتمع بنو مروان ، فقالوا : لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا بالمزاح . فدخلوا ، فتكلم رجلٌ منهم فمزح ، فنظر إليه عمر ، فوصل له رجل كلامه بالمزاح ، فقال : ألهذا اجتمعتم ؟! لِأَخسِّ الحديث ، ولِمَا يُورث الضغائن ؟! إذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله ؛ فإنْ تعديتم ذلك ففي السُّنَّة عن رسول الله ﷺ ، فإنْ تعدَّيتم ذلك فعليكم بمعالي الحديث »[3] .

أنشد أبو الوليد الباجي :

إذا كنـت أعلـمُ علمًا يقينًا بأنَّ جميعَ حياتي كَسَاعهْ
فلِمْ لا أكـونُ ضنينًا بهـا وأجعلها في صلاحٍ وطاعهْ[4]

قال الخطيب البغدادي : « والعلم كالبحار المتعذر كيلها ، والمعادن التي لا ينقطع نيْلها ، فاشتغل بالمهمِّ منه ؛ فإنه من شغل نفسه بغير المهم أضرَّ بالمهم » .

---

(١) قيمة الزمن ص١٠٠ .
(٢) وفيات الأعيان لابن خلّكان ٢/٢٨٦ .
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٣٩ .
(٤) وفيات الأعيان ٢/٤٠٨ - ٤٠٩ .

قال العباس بن الحسن العلوي[١]: « اعلمْ أن رأيك لا يتسع لكل شيءٍ ففرّغْه للمهم ، وأنَّ مالك لا يغني الناس كلهم ، فخصّ به أهل الحق ، وأن كرامتك لا تُطبّق[٢] العامة فتوخّ بها أهل الفضل ، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك وإنْ دأبت فيهما ، فأحسنْ قسمتهما بين عملك ودَعَتك من ذلك . فإنَّ ما شغلك مِن رأيك في غير المهمِّ إزراء بالمهم ، وما صرفت من مالك في الباطل ، فقدتَه حين تريده للحقِّ ، وما عمدتَ من كرامتك إلى أهل النقص ، أضـرَّ بك في العجز عن أهل الفضل ، وما شغلتَ من ليْلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة »[٣] .

قال السيوطي في كسْب طالب العلم لوقته :

حـدّثنا شـيخنا الكنـاني عن أبِهِ صاحبِ الخطابهْ
أسـرعْ أخا العلمِ في ثلاثٍ الأَكل والمشي والكتابهْ[٤]

لفتـة الكبـد :

قال ابن الجوزي في « لفتة الكبد في نصيحة الولد » : « الكسل عن الفضائل بئسَ الرفيق ، وحبُّ الراحة يورث من الندم ما يربو على كلِّ لذة ، فانتبه واتعبْ لنفسك ، واندمْ على ما مضى من تفريطك ، واجتهدْ في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سَعة ، واسقِ غُصنَك ما دامت فيه رطوبة ، واذكرْ ساعتك التي ضاعت ، فكفى بها عِظة ، ذهبت لذة الكسل فيها ، وفاتت مراتب الفضائل ، وإنما تُقصِّر الهمم في بعض الأوقات ، فإذا حُثَّتْ سارت ،

(١) ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ١٢/١٢٦ ، أقام في صحبة هارون الرشيد ، وكان عالمًا شاعرًا .
(٢) أي : لا تعمُّهم وتتسع لهم .
(٣) تاريخ بغداد ١٢/١٢٦ .
(٤) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي ١/٢٢٩ .

وما تقف همة إلا لخساستها ، وإلا فمتى علتِ الهمة فلا تقنع بالدُّون .

إذا ما علا المرءُ رام العُلا ويقنع بالدُّونِ منْ كان دُونَا

يقول الشيخ حسن البنا رحمه الله : « يقال : الوقت من ذهب !! وهذا صحيح من حيث القيم المادية للَّذِين لا يقيسون الوجود إلا بها ، ولكن الوقت هو الحياة للذين ينظرون إلى أبعد من ذلك »[١].

إذا كانَ رأسُ المالِ عمركَ فاحترزْ عليهِ منَ الإنفاقِ في غير واجبِ
فبين اختلافِ الليل والصبح مَعْرَكٌ يكرُّ علينا جيشُه بالعَجائبِ[٢]

لا عملَ إلا في الشباب :

قال النووي : « ينبغي للمتعلم أن يغتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط ، وحالَ الشبابِ وقوةِ البدن ، ونباهة الخاطر ، وقلَّة الشواغل قبل عوارض البطالة »[٣].

أترجو أن تكونَ وأنت شيخٌ كما قد كنت أيام الشبابِ
لقدْ كذَبَتْك نفسُك ليسَ ثوبٌ دريسٌ كالجديد من الثيابِ

أخي : «بادرْ ساعات العمر وهي سانحة ، ولا تتعلق بالغائب المجهول؛ فكل ظرفٍ مملوءٌ بشواغله وأعماله ومفاجآته :

يقولون إنَّ الدهر يومانِ كلُّه فيومُ مَسرَّاتٍ ويومُ مكارهِ
وَمَا صدقوا والدهر يوم مسرّةٍ وأيامُ مكروهٍ كثير البَدائهِ »[٤]

---

(١) منبر الجمعة للشيخ حسن البنا ، إعداد وتقديم : محمد عبد الحكيم خيال ، مقالة : « الوقت هو الحياة » ص٥٣ .

(٢) للشاعر عمارة اليمني – انظر « وفيات الأعيان » ٣٧٧/١ .

(٣) المجموع للنووي ٦٩/١ .

(٤) قيمة الزمن ص١١٧ .

حوائجُ لم تقض ، وآمال لم تُنَلْ ، وأنفسٌ ماتت بحسراتها[١] .

ولم يَتَّفِقْ حتَّى مضىٰ لسبيلِهِ   وكَمْ حسراتٍ في بطونِ المقابرِ

قال الإمام أحمد : «ما شَبَّهتُ الشباب إلا بشيءٍ كان في كُمِّي فسقط»[٢] .

أذانُ المرءِ حينَ الطفلُ يأتي   وتأخيرُ الصَّلاةِ إلى المماتِ
دليلٌ أنَّ محياهُ يسيرٌ   كما بيْنَ الأذان إلى الصلاةِ

وقال آخر :

وما بينَ ميلادِ الفتىٰ ووفاتِهِ   إذا نصح الأقوامُ أنفسَهُم عُمْرُ
لأنَّ الذي يأتي شبيهُ الذي مضى   وما هو إلا وقتُكَ الضيّقُ النَّزْرُ

شبابٌ سبهلل :

قال عمر بن الخطاب : إني لأكره أن أرى أحدكم سَبَهْلَلًا - أي فارغًا - لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة .

فيالَضياع أمةٍ أعمارُ شبابها عبثٌ ولهوٌ ولغوٌ ، لا يطلبون إلا قتْل الوقت ، كأن الوقت عدوٌّ من أعدائهم .

ويرحم الله الوزير الصالح يحيى بن هبيرة شيخ ابن الجوزي ، إذ يقول :

والوقتُ أنفسُ ما عنيتَ بحفظِهِ   وأراهُ أسهلَ ما عليكَ يضيعُ

الناصحُ لنفسه مقصوده من زمانه كله ربُّه ، ووسيلته إلى الله علمه ، عرف طريقه ودربه .

إذا كان يُؤذيك حَرُّ المصيفِ   ويُبْسُ الخريفِ وبرْدُ الشِّتا
ويُلهيك حسنُ زمانِ الربيعِ   فأخذُكَ للعلم قل لي متى[٣]؟!

---

(١) قولٌ للشريف المحدِّث جعفر بن محمد العباس البغدادي المتوفى سنة ٥٩٨هـ .

(٢) مناقب الإمام أحمد ص١٩٨ .

(٣) للإمام أحمد بن فارس الرازي .

قال شوقي رحمه الله :

دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ لهُ إنَّ الحياةَ دقائق وثواني
فارفعْ لنفسِكَ بعدَ موْتِكَ ذكرَها فالذكرُ للإنسان عمرٌ ثاني

قال الغزالي : « ويحك يا نفس ، ما لك إلا أيامٌ معدودة ، هي بضاعتك إن اتَّجرتِ فيها ، وقد ضيعتِ أكثرها ، فلو بكيتِ بقيةَ عمرك على ما ضيعتِ منها لكنتِ مقصِّرة في حقِّ نفسك ، فكيف إذا ضيعتِ البقية وأصررتِ على عادتِكِ . ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطتِ من بطن أمك ، فابني على وجه الأرض قصرَك ، فإن بطنها عن قليلٍ يكون قبرك . تفرحين كلَّ يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك ! وما نفع مالٌ يزيدُ وعمرٌ ينقُصُ . كم من مستقبِل يومًا لا يستكمله ، وكم من مُؤَمِّل لغدٍ لا يبلغه ! اعملي بقية عمرك في أيامٍ قصارٍ لأيام طوالٍ . ومن كانت مطيتُهُ الليل والنهار ، فإنه يُسار به وإن لم يَسِرْ »[١].

«قيل لداود الطائي: لو سرّحتَ لحيتك. فقال: إني إذًا لفارغٌ»[٢].

« كان سفيان الثوري يقول : عند الصباح يحمد القوم السُّرَىٰ ، وعند الممات يحمد القوم التُّقى .

وقال أحمد بن حرب : يا عجبًا لمن يعرف أن الجنة تُزيَّن فوقه وأن النار تُسعَّر تحته ، كيف ينام بينهما »[٣].

أخي ، إن النهار لن يرجع ، والعمر لا يعود ، والطالب حثيثٌ .

أخي ، « إن كل نَفَسٍ من أنفاس العمر جوهرةٌ نفيسة ، لا عوض

(١) إحياء علوم الدين ٤/٤٤٥ - ٤٤٦ .
(٢) الإحياء ٤/٤٣٥ .
(٣) الإحياء ٤/٤٣٥ .

لها ، يمكن أن يُشترى بها كنزٌ من الكنوز ، لا يتناهى نعيمُه أبدَ الآباد . فانقباضُ هذه الأنفاس ضائعةً أو مصروفةً إلى ما يجلب الهلاكَ خُسرانٌ عظيمٌ هائلٌ لا تسمح به نفس عاقلٍ ، فإذا أصبح فليفرِّغ قلبه لمشارطة النفس .

يا نفس ، ما لي بضاعةٌ إلا العمر ، ومهما فني فقد فني رأسُ المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الرِّبْح . وهذا اليوم الجديد قد أمهلَني الله فيه ، وأنسأ في أجلي ، وأنعم عليّ به ، ولو توفاني لكنت أتمنّى أن يرجعني إلى الدنيا يومًا واحدًا حتى أعمل فيه صالحًا ، فاحسبي أنك قد تُوفِّيت ثم رددتِ ، فإياك أن تضيِّعي هذا اليوم ؛ فإنّ كل نَفَسٍ جوهرة لا قيمة لها . اجتهدي اليوم في أنْ تعمري خزانتك ، ولا تدعيها فارغةً عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ، ولا تميلي إلى الكسل والدّعَة ، فيفوتك من درجاتِ عِلِّيِّين ما يدركه غيرك ، وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة ، فألَمُ الغَبَن وحسرته لا يطاق وإن كان دون ألم النار . وقد قال بعضهم : هبْ أن المسيءَ قد عُفي عنه ، أليس قد فاته ثوابُ المحسنين ؟! »[1] .

أشار به إلى الغبن والحسرة ، وقال الله تعالى : ﴿ **يوم يجمعكم ليَوْم الجمعِ ذلكَ يومُ التغابن** ﴾ الآية.فهذه وصيته لنفسه في أوقاته .

أخي ، وأخيرًا « سنعرض إحصائيةً دقيقةً تبيِّن أهمية العمر والحرص عليه ، بما يثير الغيرة لدى المسلم عالي الهمة .

فلنفرض أن الإنسان يعيش عمرًا افتراضيًّا مدَّته سبعون سنةً ، فإذا ضيّع الإنسان خمس دقائق يوميًّا فإنَّ هذا يعني أنه أضاع مِن مجموع العمر كلِّه ثلاثة أشهر تقريبًا (٨٨ يومًا) ؛ وهذا الجدول يوضِّح المسألة أكثر وأكثر .

(١) الإحياء ٤/٤١٨ - ٤١٩ .

الوقت من اليوم	مجموع الوقت من العمر الافتراضي	النِّسبة المئويَّة
خمس دقائق	ثلاثة أشهرٍ	٠,٣٥٪
عشر دقائق	ستة أشهرٍ	٠,٧١٪
عشرون دقيقة	سنة كاملة	١,٤٢٪
ساعة كاملة	ثلاث سنواتٍ	٤,٢٨٪
عشر ساعاتٍ	ثلاثون سنة	٤٢,٨٥٪

ثم إذا نظرت إلى مجموع الأنشطة التي تستهلك الوقت تجد أنها كثيرة جدًّا ، وهي – وإن كان بعضها ضروريًّا – لكنَّ بعضها الآخر غير مفيد ، وغيرُ فعَّال ؛ وهذا يتضح من الجدول الآتي :

نوْع النشاط	ما يستغرقه بالسنوات	النسبة المئوية من العمر كله
النوم (بمعدل ثمان ساعات يوميًّا)	٢٣	٣٢٪
العمل (من (٧) إلى (٢,٥) يوميًّا)	٢١,٥	٣٠,٧٪

الأكْل والشرب (بمعدل ساعةٍ ونصف يوميًّا)	٤,٥	٦,٤٪
الأعمال المعتادة والمراجعات الحكومية (بمعدل نصف ساعة) .	١,٥	٢,١٤٪
الأعمال المنزلية والرحلات والتنزه (بمعدل ساعة واحدة يوميًّا) .	٣	٤,٢٨٪
اللقاءات الاجتماعية والوُدية بين الأصدقاء (بمعدل نصف ساعة يوميًّا) .	١,٥	٢,١٤٪
التنقل من مكان لآخر (بمعدل نصف ساعة يوميًّا).	١,٥	٢,١٤٪
الاتصالات الهاتفية (بمعدل نصف ساعة يوميًّا) .	١,٥	٢,١٤٪
المجموع	٦١ سنة	٨٧٪
الباقي	٩ سنوات	١٢,٨٥٪

فإذا حذفتَ من ذلك فترة المراهقة وزمن الطفولة ، فكم يا تُرى يبقى من الوقت للمشاريع الطَّمُوحة والأعمال الكبيرة ، والأهداف النبيلة ؟ »[١] .

فاللهَ اللهَ في عمرك ووقتك ... آخر العدد : فراق أهلك ، آخر العدد : دخول قبرك ، آخر العدد : لقاء ربّك .

* * *

(١) مقالة « فن إدارة الوقت » لعبد الله آل سيف ص١١٠ - ١١٢ - مجلة البيان ، العدد ٨٦ ، شوال ١٤١٥هـ .